الأعياد والحفلات والمواكب

حفلت الدولة الإسلامية بكثير من الرسوم والمظاهر الاجتماعية، وكان من ضمن العناية بالمظاهر فيها الاهتمام بالأعياد والحفلات والمواكب وتنظيمها، وأطلق على هذه الأنظمة الرسوم.

ويمكن تقسيم الرسوم إلى الأنواع الرئيسة الآتية:

أولاً- الأعياد والاحتفالات الدينية:

وقد وضح الاهتمام منذ الدولة الإسلامية باحتفالات وأعياد ترتبط ارتباطاً وثيقًا بطبيعة الخلافة العباسية التي كانت بصفة خاصة ذات طابع ديني. وقد تعددت أنواع الأعياد الدينية وكان أهمها ما يلي:

١- أعياد إسلامية ٢- أعياد غير إسلامية

١- أعياد إسلامية: وكان أهمها عيدين ينبعثان من التعاليم الإسلامية نفسها، وهما: عيد الفطر وعيد الأضحى.

وكان الاحتفال بالعيد، يبدأ بصلاة العيد عندما يؤم الخليفة المسلمين، ويلقي عليهم خطبة العيد، وبعد الصلاة يقوم المسلمون بذبح الأضاحي في العيد الكبير (عيد الأضحى). أما في عيد الفطر فكانوا يتصدقون بزكاة الفطر قبل صلاة العيد.

٢- أعياد غير إسلامية: ومنها أعياد النصارى واليهود، وكانت الدولة تسمح لهم بالاحتفال بها. كما كانت هناك أعياد مذهبية مثل احتفال الشيعة بيوم عاشوراء (١٠ محرم) وبيوم غدير خم (١٨ ذي الحجة).

وهناك أعياد تقليدية فارسية مثل: عيد النيروز وقد أبطله المسلمون ثم أعيد في العصر العباسي[1].

ثانيًا- المواكب:

اهتمت الدولة العباسية اهتمامًا خاصًا بالمواكب وذلك جريًا على عادتهم من حيث الاهتمام بالرسوم والمظاهر، وأهم مواكبهم المواكب التي كان يشترك فيها الخليفة. وقد جرت العادة أن يأخذ موكب الخليفة مظهرًا حربيًا. وكان من التقاليد المتبعة في هذه المواكب ظهور الخليفة بشعارات خاصة أو علامات خاصة هي البردة والخاتم والقضيب[2].

هذا وقد كان الخلفاء يخرجون في مناسبات مختلفة منها:

أ- مواكب الجمع: وكان الخليفة يخرج لصلاة الجمعة في موكب فخم إذ كان الحرس من مختلف الطبقات يسيرون في المقدمة وهم يحملون الأعلام، ويأتي بعدهم أمراء بيت الخلافة على ظهور الخيل المزدانة، ثم الخليفة وهو يمتطي جوادًا أبيض وحوله كبار رجال الدولة. وجرت العادة أن يلبس الخليفة العباسي في هذا الموكب قباء أسود، ويضع على رأسه قلنسوه طويله مزينة بجوهرة غالية، وبيده قضيب الخلافة وبإصبعه خاتم، ويتدلى على صدره سلسلة ذهبيه مرصعة بالجواهر النفسية. وكان من الرسوم المتبعة أن يضرب على باب قصر الخلافة في بغداد بالطبول والدبادب والأبواق في أوقات الصلاة.

---

(١) د. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٤٤٩.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٢١٠، ٢٤٢، ٢٦١.

ب- مواكب الحج: جرت العادة أن يخرج الحجيج كل عام في موكب على رأسه الخليفة أو من ينوب عنه، وكان أعظم مواكب الحجاج موكب بغداد الذي يضم عدداً من حجاج الأقطار الشرقية: العراق وفارس وخراسان.

وقد عرفت وظيفة أمير الحج منذ عهد النبي ﷺ، إذ كان ينيب عنه أحيانًا أحد الصحابة في رئاسة المسلمين الذاهبين إلى الحج، وسار الخلفاء والولاة على هذه السنة، ويقوم أمير الحج بتوجيه حجاجه والمحافظة عليهم وتوفير وسائل العيش لهم، وإصلاح ذات البين بينهم.

جـ- مواكب الاستقبال: وفي هذه المناسبات كان الخليفة يخرج في موكب استقبال بعض الملوك أو السفراء، وكانت هذه المواكب تبلغ درجة من العظمة تفوق الخيال. ومن أمثلة هذه المواكب استقبال الخليفة المقتدر سنة ٣٠٤هـ/٩١٧م في بلاطه رسل الإمبراطور قسطنطين السابع: إذ مشى في موكب الخليفة ١٦٠ ألف فارس وسبعة آلاف خادم وسبعمائة صاحب، وسار رسل الأمبراطور بين صفين من السباع عددها ١٠٠ سبع يقودها سباعوها[١].

ثالثًا- مجالس الخلفاء:

كان للخليفة العباسي مجلسان: مجلس خاص ومجلس رسمي، وفي المجلس الرسمي كان الخليفة يجلس على سرير الخلافة في قصر فخم مؤثث

(١) د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، جـ٢، ص٤٤٢-٤٤٣.

بأفخم الأثاث ومحلى بأجمل الزينات. وكان هذا المجلس الرسمي يشمل عدداً من المراسم والتقاليد التي تظهر وتؤكد من سمو ورفعة الخلافة وجلالها مثل مراسم الدخول على الخليفة والتحية والكلام والجلوس والانصراف.

أما في المجالس الخاصة فكان الخليفة يبدو أكثر قربًا وألفة بجلسائه الذين كانوا يختلفون من حيث الوظيفة ومدى الصلة. فكان منهم رجال الدولة من وزراء وكتاب وعلماء وقادة وأعيان وأدباء.

رابعًا- حفلات الزواج:

وكانت هذه الحفلات من المناسبات التي تعرض فيها مظاهر البذخ والترف والغنى، فمثلاً جاء في وصف مظاهر احتفال الخليفة المأمون بزواجه من بوران سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م، أن وقف العريس وعروسه على حصير منسوج من خيط الذهب ومرصع بالدر والياقوت ثم نثر عليهما ألف لؤلؤة من صينية ذهبية. وكذلك ما حدث في زواج الخليفة المعتضد من قطر الندى.

خامسًا- الولائم:

واهتم المسلمون كذلك بالولائم التي كانت تقام في كثير من المناسبات، وتقديم شتى أنواع الطعام على سماط كبير. وكانت الولائم تقام عادة في الأعياد وفي ليالي رمضان وفي الأعراس، وفي مناسبة الولادة (العقيقة) وفي مناسبة بناء الدور والمأدبة للدعوات.

وكانوا يتفنون في أصناف الطعام التي تقدم في هذه المناسبات، كما ألفت الكتب الخاصة بالمطابخ، ويقال: إن المعتصم أمر بإقامة مباراة في الطبخ، كما أن المتوكل كافأ من أجاد طبخ قدر أعجبه بأن منحه قدراً مملوءة بالدراهم[1].

(١) د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، جـ٢، ص٤٤٤-٤٤٥.

obeikandl.com